الاباء والبنون *

﴿رواية اجتماعية تمثيلية﴾

﴿لخليل تعيمة﴾

* * *

— تابع الفصل الاول —

الياس — (الى داود بعد سكوت قصير) هل رأيت بعينك وسمعت باذنك ؟

داود — نعم . قد رأيت وسمعت . لكني لم أرَ ما يصدع العزم ولم اسمع ما يرسل اليأس الى القلب .

الياس — والله لقد صدق المثل « الحرب بالنظارات عين » ! أتعني انك لو كنت مكاني لكنت تحاول ان تغير اعتقادات امك القديمة ، وتعلمها مبادىء جديدة كما لو كانت طفلة صغيرة ؟

داود — انا لم افقد بعد عقلي لاحاول المستحيل . لكني اعجب اذ اراك مع كل درسك وفهمك لم تدرك حتى الان ان اختلاف الاباء والبنين في الاذواق والميول والاعتقادات امر طبيعي ضروري لحياة الامم وحياة الافراد . وحيث فُقد هذا الاختلاف فقدت اسباب التقدم . اذا كان الولد يشبه

* حقوق التمثيل محفوظة

ويشيب عَلَى الاعتقادات التي شبّ وشاب ومات عليها والده قبله نفسها ، كما هي الحالة في بلادنا ، فلا سبيل الى الرقي عَلَى الاطلاق . ولو سألتني عن سبب انحطاطنا لاجبتك — لاننا نقتفي اثار اجدادنا وآبائنا في كل شيء كأننا نخاف ان تضل الطريق . لذلك لا نعثر عَلَى شيء جديد ولا نرى الا ما رأته الاجيال التي مرّت قبلنا . نحن نخاف ان نخالف ابائنا حتى في امور تافهة ونعد ذلك جرماً كبيراً . طاعة الوالدين عندنا اساس الحياة البيتية . والانقياد لاراء الشيوخ ركن حياتنا الاجتماعية . ذلك لاننا لا نميز بين « الطاعة » و « الاكرام » . موسى قال — « اكرم اباك وامك » ونحن زدنا عَلَى ذلك فقلنا — « اطع اباك وامك حتى عَلَى هلاكك وهلاكهما » الفرق بين الطاعة والاكرام كما بين الارض والسماء . ربما وجب ان « نكرم » اباً او اماً جاهلين ، منحطين ، حتى همجيين . لكن « طاعة » والدين كهذين طاعة عمياء ، في احوال ندركها نحن خيراً منهما ، لجرم كبير امام الله وامام الناس . ولو فحصت لوجدت اكثر الاباء والامهات في بلادنا من هذه الطبقة المنحطة ادبياً وعقلياً . انا لا انكر ان قلوب امهاتنا غنية بالمحبة الفطرية والتضحية . لكن الحيوانات غنية بهذه العواطف نفسها . اقول المحبة « الفطرية » لان هذه المحبة التي تبديها امهاتنا نحو اولادهن ليست ارفع من محبة البقرة لعجلها والشاة لحملها . ما دام الولد معافى ، ما دام مكسواً ، ملآن البطن ، تبقى الام راضية . هي لا تسأل عن حاجاته الروحية . ولا تهتم بنموه العقلي والروحي . وتكاد لا تحلم ان ابنها ، ولو كان ملآنا

البطن ، ربما يكون فارغ العقل والقلب وقفير الروح . امهاتنا — واباؤنا كذلك — يعتقدون ان الولد سلعة او متاع لهم حق التصرف به كيف شاءوا ، ولا يدرون انه كيان مستقل بذاته ، له روح مختصة به وقلب منفرد عن قلوبهم . ولهذا ما اكثر ما يسوقون بنيهم الى الهلاك وهم لا يدرون . كل ذلك لان سلطة الوالدين عندنا لا تزال مقدسة ولاننا لا نميز بيننا كرام الوالدين وطاعتهما طاعة عمياء . وعندي ان الشاب الذي يخضع لارادة والديه ، مع اعتقاده ان والديه مخطئان وهو مصيب ، يجرم أمام نفسه وأمام والديه والفتاة التي تنقاد بدون تمرد او عصيان لامر امها او ابيها ، عالمة انها ستصل الى هاوية الهلاك ، تضيع كل حقوقها لاستئناف دعواها الى محكمة الحق وعدل الانسانية . نعم . البنت التي تضحي حياتها لارضاء خاطر امها او ابيها — لا اكثر — لا تستحق شفقة ولا رحمة ...

الياس — لو جرى الكل بمبدأك لاصبح الاباء والبنون في خصام مستمر

داود — اذا كان ما تعنيه بالخصام تناقضاً في الافكار والاذواق — فحبذا ذاك الخصام . واذا كان ما تعنيه مشاجرات جسدية — فلا كان الاباء ولا كان البنون . ولا اجد باباً لهذا الخصام اذا ادرك البنون ان السر ليس في تغيير اراء اباتهم واعتقاداتهم بل في معارضة تلك الاعتقادات وعدم الانقياد لها اذا كانت احوال اليوم ، وحاجات عيشة اليوم ، وعلم اليوم وفلسفته تنبذها وتدمغها بدمغة الخرافات والترهات والاوهام .

الياس — دع عنك هذه الفلسفة فهي اكبر اوهامك . ربما صح ما تقوله

في بلاد غير بلادنا السورية . اما هنا فالشعب قد شاخ باطفاله وشبانه - شعبنا غراب مسن — لا فرق بين قوادمه وخوافيه . ابناؤنا يولدون شيوخاً وبناتنا يولدن عجائز . فلا رجاء بتجديد ما عتقه الدهر .

داود — ذاك صحيح ما دامت الحال كما هي الان — اعني ما دمنا متمسكين منفردين عن العالم ، محصورين ضمن حدود بلادنا كالبراقة في صدفتها . لكن الحال قد بدأت تتغير ولا ينكر ذلك سوى الاعمى . نحن لا نقدر ان ننفرد اليوم عن العالم ولو اردنا لان براثين مدنية القرن العشرين قد احاطت بنا من كل صوب وفج — فعبثاً نطلب الفرار . ما بعض شبابنا قد اخذوا يحجون الى بعض البلاد الاجنبية لا لكسب مالها بل لاقتناء علومها . عددهم يزداد كل سنة . هؤلاء هم الذين سيجدون الهوة بينهم وبين اباءهم تزداد عمقاً من يوم الى يوم ، وهؤلاء هم الذين سينفثون دماً جديداً في جسم امتنا الجامدة . انت واحد منهم ، لكنك الى الان لم تتحرر من سلطة ماضينا تماماً . ولا تزال تخشى معارضة الاوهام والخرافات والاعتقادات القديمة اذا جاءتك في جلد اخ او اخت او ام او اب او عم او كاهن او شيخ او موظف محكمة — وهذا هو ضعفك .

الياس — ما ألذ الاحلام وما امر اليقظة ! ستفيق من حلمك لا تقفا وجهاً لوجه ضد هذه الخرافات والاوهام التي تحسب حربها اسهل من جرعة الماء . دعك من هذه الاحلام يا داود — فانت تخدع نفسك . انت تظن انك في مدرستك قادر ان تبث في عقول الاحداث وقلوبهم ما تشاؤه من

الافكار الجديدة . لكنك تنسى ان ما تلقيه من بذور الخير — لو ما تحسه خيراً — ضمن جدران المدرسة تخنقه الاشواك ضمن جدران البيت .

وهل يبلغ البنيان يوماً تمـامه اذا كنت تبنيه وغيرك يهدم ؟

دعك من هذه الاحلام فانت تحاول ان تنقل ماء البحر في قمع بلوطة — وهذا جنون . أليس كذا يا زينة ؟ (زينة تحمر خجلاً وتطرق

خليل يغني ورأى الباب بصوت خشن — « جنـ — ـي — نا ، يا حا — وه — يا بي — ضا وجنـ — ـي — نا ... » يفتح الباب بيساره ويقف مخاطباً رفيقاً خارجاً — « بشوفك الليلة في قهوة الجسر . آ ؟ الساعة ثمانيه . اوعى تنسى ! سلم ! » يدخل مغنياً « يا حا — وه — يا بي ... يقف في الباب مبهوتاً وقد رأى الحضور داخلاً)

خليل — هب ... (واضعاً يده على فمه) يا عيب الشوم . يردون . يردون . مل يردون مسيه ! (الى زينه) بشوفك بالبيت — ما وحشني تزوري سعادة البيك اليوم ؟ قه . ـه . قه . (يستخرط في الضحك) عريسك عريس يا اختي ما شاالله ! الله يخلي لك ياه . ضحكتنا عليه ضحك اليوم حتى ما عاد لنا ضلاع . قه . قه . قه . (ضارباً كتف الياس بطرف عصاه) بتعرف قهوة الجسر يا الياس ؟ اجتمعنا هونيك ثلاثه . عبد الفقير وحنا سركيس ومخايل عون — ثلاثه الله يكون بالعون — من اللي نزعوا الدبس عن الطحينه . شويه وهو فايت ناصيف بيك . مصنف قصيدة طويلة عريضة . وجايبي يقرا لنا هيه . سمعنا له سمعنا له تانعسنا . سانتها غمزني مخايل عون . هات يا صبي

خمسانية · مات غيرها · تفضل يا ناصيف بيك · ناصيف بيك لمن شاقا بنت نوح طوي قصيدته وحطها بجيبته · واول قدح · ثاني قدح · ثالث قدح — ناصيف بيك دارت معه الامور · دق بوكر يا شباب ! ناصيف بيك رفع ايده قبل الكل · اول فت · ثاني فت — ناصيف بيك ربحان · ثالث فت · رابع فت — ناصيف بيك بعده ربحان · حنا سركيس قبعتو معه الامور · فتيت انا وقلت « پاس » · مخايل عون قال « پاس » · ناصيف بيك بدل ورقتين وشلح ليره عا الطاوله وعينه بتبص · سركيس غمزني وشلح ليرتين · ناصيف بيك قال — هي ليرتين بعد · سركيس شلح ثلاثه · ناصيف بيك خمسه · سركيس عشره · ناصيف بك بالآخر قبعت معه · شال كل شي ربحه وكل شي كان معه — ثلاثين ليرة — وشلحها عا الطاوله وفتح ورقه · كل وجهه بيضحك · اربع اسوس · شو معك يا سركيس ؟ سركيس كشف ورقه عا الناس · ربّا · بنت · كول · عشرة · كلهن دينارى · قه · قه · قه · هُو ! يا ريتك شفت البيك هالك الساعة · قه · قه · قه · جنس اللون ما بقي فيه وجهه · اصفر مثل الزعفران · بعلمك كان يضحك ويعظم شعار — بدقيقة تش مثل الطليعه · ما حاجة البيك مصيبته — ابن عون صار يتمقرع عليه والكل — انظم لنا قصيدة عن البوكر يا ناصيف بك ! هاتو عرق — جابوا عرق · عندي ، عندك · البيك نسي الثلاثين ليره وصار يغني شعار · انا وسركيس قلينا · والبيك وابن عون قاعدين · عندي — عندك قلينا والبيك عن يغني —

البوكر فرح لي قلبي قلبي قد فرّح لي البوكر
اس اس اس اس قدوت الريح يبا مسوكر
لكن ماذا يجديك الامر اذا كان الحفظ ...

يوصل لمون ويضرب الطاوله بايده — لعن الله القوافي ! تركناه وبعده بيفتش عاقافيه · قه · قه · قه · هيق ! البوكر فرح لي قلبي · قه · قه · قه · لو خسرلو شي مايه ليرة يفرد قعده ترى عا اي لحن كان يغني ؟ قه · قه · قه · (ام الياس تدخل فجأة من باب اليسار · خليل واضعاً يده على فمه) عب ! بردون · مل بردون ؛ ماما ! كنت تايمه ووعيتك ؟ يلعن ساعة الشيطان ·

ام الياس — (بغضب) انت بتوعي المونى من قبورهم · عا ايش هالضحك كله ؟ — ما بسمعك الا بتضحك · (الى زينة) وانت ايش بعدك قاعده تعملي هون ؟ (زينه تنهض للخروج ولا تخرج)

خليل — كنت عن خبر الياس وحضرة الافندي (مشيراً الى داود) شو الاسم بالخير ·

داود — داود سلامه ·

خليل — عبد ربك العفو ! المعلم داود من مدرسة عين الدلبه — مش هيك ؟ والنعم والسبع تنعام · سمعت · سمعت بصيتك · مش حضرتك اللي عالج بديانه جديده ؟ (الى امه) كنت عن خبر الجماعة عن تاعيف بيك · خمر ثلاثين ليرة اليوم عافرد قعده · وطرق سكره يا امي عالفكر !

ام الياس — انت لو الك بتغضب لسانك ورا سنانك ما كان في احسن منك . بزماني ما شفت اطول من لسانك واكتر من حكيك . شو عن تقول انو ناصيف بيك خسران بالقمار وسكران والله اعلم ايش بعد ؟ انا بعرف ناصيف بيك وبعرف انو ولا بزمانو لعب بالقمار ولا بزمانو شرب قدح عرق . وبعد هادا و كله حلك تفهم ان ناصيف بيك خاطب اختك . وانو مش لازم تفتح تمك و تحكي عليه قدام الغريب والقريب فهمت ؟

خليل — قه . قه . قه . ما ابسط قلبك يا امي ! ناصيف بك لا يشرب ولا يلعب بالقمار ! قه . قه - قه . شو اذا كان خاطب اختي بعدك اذا شفته سكران قول شفته رايح عالكنيسة واذا شفته عن يلعب بالقمار قول شفته عن يصلي ؟ — والله فصل !

ام الياس — (بغضب كلي) انا قلت لك انو ناصيف بيك بزمانو لا شرب ولا مسك ورق قمار بايده . وحاجتك لت وكتر حكي . اذا كان شرب لو مصة عرق — شو هالمصيبة ؟ كل الشباب بيشربولهم قدح !

خليل — لكن يا امي ناصيف بيك ما شربش مصة بس — شرب نص رطل يمكن .

ام الياس — سكر تمك وانصرف من وجهي بقا ! قلت لك ناصيف بيك ما بيشربش . وبعدك بتقول لي انو سكران

خليل — يردون ، مامان ، خطيت ومنك المسامحة . سكوزمي (يحني راسه . يدخل ناصيف بيك من باب الصدر متمايلاً . في يده عصا وطربوشه

فوق اذنه اليسرى)

ناصيف بيك — (يبرم عصاه في يده ويرتدح — البوكر فرّح لي قلبي · قلبي قد فرّح لي البوكر) ابن خليل ؟ اين هذا المغضوب عليه ؟ ألم اقل لك ان ناصيف بيك لا تعصاه قافية ؟ وجدتها وجدتها ! غصباً عنك وغصباً عن سيبويه · لا تصدق ؟ اسمعوا اذن — البوكر فرّح لي قلبي — قلبي قد فرّح لي البوكر · هل سمعت في حياتك ألطف من هذا القول يا الياس ؟ وانت يا امرأة العم المحترمة — هل سمعتِ قط شعراً كهذا الشعر ؟ قلبي قد فرّح لي البوكر · أس أس اس اس · اعني اربعة أسوس · أس · أس · أس · أس · قدرت الربح بها سوكر · اربعة أسوس ! من لا يخاطر بثلاثين ليرة وفي يده اربعة أسوس ؟ لكن اسمعوا البقية · قدرت الربح بها سوكر · لكن ماذا يجديك الاس اذا كان الحظ ··· من منكم يقدر ان يجد قافية لهذا البيت ؟ من منكم درس العروض ؟ ارنا فصاحتك يا الياس · او انت (مشيراً الى داود) يا حضرة الافندي هنا · هل درست جنابك العروض ؟ اعطني قافية لهذا البيت وانا اتخلى لك عن بيكوبتي · لكن ماذا يجديك الاس اذا كان الحظ ··· تكلموا — مالكم سكوت ؟ أها ! الشعر صعب وطويل سلمه · فاسمعوا اذن · (يعيد الابيات من اولها) لكن ماذا يجديك الاس اذا كان الحظ ··· هل وجد احد منكم القافية ؟

خليل — اذا كان الحظ سوكر ·

ناصيف بيك — (مبهوتاً · يضرب الطاولة بيده) ولا وحق ربي انتم

سرقتها مني . انت لص . انت سراق . والا من اين اتيت بها وانا صرفت ثلاث ساعات ابحث عنها حتى وجدتها ؟ لا . انت لص . يا خيبة امل فيك .

خليل — (مستغرقاً في الضحك) قه . قه . قه . قه . لا وحياة رأس البيك . قه . قه . قه . قدحتها من ضميري وشلتها . قه . قه . قه .

ناصيف بك — (بغضب كلي) لا والله انت سراق والف سراق . انت ارذل من سراق . انت تسرق من الشاعر قوافيه . تسرق جواهره . انت املكت لي على الطريق فسمعتني اردد ها والان لا تخجل ان تدعي انك وجدتها . ومن انت لتعرف شيئاً عن الشعر وقوافيه ؟ امي يربري عمجي لا تعرف الكوع من البوع ولا تقدر ان تعرب ضرب زيد عمراً

داود — ألا تقدر ان قد حصل توارد خواطر بينكما ؟

ناصيف بك — توارد خواطر ؟ بيني وبين هذا الابله ؟ وانت من انت لتحكم في امور كهذه ؟ هل جنابك نفطويه ام سيبويه ام الامام الشافعي . توارد خواطر — والله فصل ! وماذا تعرف حضرتك عن توارد الخواطر ؟ ماذا تعرف عن الشعر ؟ اعرب لنا — ابي كوى الحمار !

الياس — (آخذاً بيد ناصيف بك) لا تنس ان المعلم داود ضيفي وانه في بيتي . واذا اهنته تكون قد اهنتني .

ناصيف بك — ان كان في بيتك او في بيت ربنا — من اقامه قاضياً بيننا ؟ انا اقول ان اخاك سرق القافية مني — فدعه يدافع عن نفسه اذا كان بريئاً . وما دخلك او دخل سواك في هذا الأمر ؟

الياس — (واضعاً يده على كتف ناصيف بك) ألا تظن ان الافضل ان « تعطينا مدور زنارك » ؟

ام الياس — (تستشيط غضباً) الياس ! ألزم حدك وسكر بوزك ! انت اعطينا مدور زنارك — انت وصاحبك ! مينك انت في هاالبيت تخمين ؟ (الى زينة التي قد استخرطت في البكاء) وانت — شو تمربتك السخنه على قلبك بعدك قاعدي هون ؟ ليش ما بتنقبري على اوضتك ؟ فوتي بهاالدقيقه وسكري تمك — لا عشت تبكي ان شاالله . (زينة تخرج باكية) أو — هو ! كل من صار بدو يمشي براسو بهاالبيت سبين . (الى خليل) انقلع انت من وجهي والكل . كلكم انقلعوا من وجهي . (خليل يخرج من باب اليسار . داود يأخذ طربوشه ويخرج من باب الصدر قائلاً لالياس — « اتأمل ان اراك غداً » (الياس يشيعه الى الباب) والله والله فصل . كل واحد صار بدو يعيش براسو . لا تواخذني يا ناصيف بيك . تفضل استريح انا راجعه قوام . (تخرج من اليسار)

ناصيف بك — قاعة فضيت ثلاث ساعات ابحث عنها ليأتيني حسار كهذا ويقول انه وجدها في اقل من دقيقة . والله فصل . توارد خواطر ! اضرب واضرب

البوكر فرّح لي قلبي قلبي قد فرح لي البوكر
أس أس أس أس قدرت الربح بها مسوكر
لكن ماذا يجديك الاس اذا كان الحظ معوكر

الستار

الفصل الثاني

الاشخاص المعلمة شهيدة — اخت المعلم داود سلامه

الياس سماحه

داود سلامه

زينة

ام الياس سماحه

(غرفة المعلم دارد · باب في الصدر وآخر الى اليمين · لا نوافذ · عند الحائط الغربي سرير مركب من ثلاثة صناديق بقرول فوقها ألواح خشب مغطاة بلحاف فوق طرفه الواحد مخدة · عند منتصف الحائط الشرقي طاولة بسيطة عليها دواة وكتب واوراق مرتبة · ارض الغرفة عارية (مدقوقة عدسة) لكنها نظيفة كل النظافة · في الغرفة كرسي واحد من الطراز القديم · عَلَى الحائط الشرقي رسم تولستوي وتجاهه عَلَى الحائط الغربي رسم المسيح · شهيدة جالسة عَلَى الكرسي بجانب الحائط وفي يدها مكوك وبكرة خيطان بيضاء · عَلَى الطاولة قنديل بقرول نمرة ٣ · الساعة التاسعة مساء)

شهيدة — (تتثاءب ثم تفرك يديها) حر · شو هالبرد ! عجب ! ماذا اعاق داود الى الآن يا ترى ؟ هل حدث له مكدر لا سمح الله ؟ (سكوت · تسمع طرقة عَلَى الباب فتركض بسرعة لتفتحه) رجع والحمدلله ! (تفتح الباب وترجع الى الوراء مذهولة · يدخل الياس وعَلَى رأسه قبعة من الفرو

مغطاة بالثلج . ينفض قبعته ورداءه خارجاً)

الياس — (نافخاً في يده) ليلة سعيدة

شهيدة — سعيدة ومباركة . تفضل .

الياس — اين المعلم داود ؟ أليس في البيت ؟

شهيدة — استدعاه بعض جيراننا منذ ساعتين وحتى الان لم يرجع . وقد وعدني ان يعود قبل الساعة الثامنة . والان الساعة التاسعة . اخافه ان يكون قد ضل الطريق في هذه العاصفة . هل لك ما تطلبه منه ؟

الياس — احب ان اراه لشأن يتعلق بي وبه . أتظنين انه يرجع قريباً

شهيدة — كان يجب ان يرجع من زمان . واذا لم يكن قد حدث له حادث فسيكون هنا بعد قليل ألا تحب ان تجلس؟ اعذرني سآتيك بكرسي . (تهم ان تخرج الى اليمين)

الياس — لا بأس . ساجلس على السرير اذا أذنت لي

شهيدة — اتخذ حريتك .

الياس — (جالساً على السرير) أنت المعلمة شهيدة اخت المعلم داود ؟

شهيدة — نعم .

الياس — عجباً . لم أرك قبل اليوم هنا . أعلك لا تسكنين في هذه المدينة ؟

شهيدة — انا اعلم في مدرسة ابتدائية ولا اتمكن من زيارة اخي الا في عطلة الصيف او عيد الفصح أو عيد الميلاد . وقد جئت اليوم لاقضي معه

عيد الميلاد .

الياس — ألا تخافين ان تبقي وحدك في البيت في مثل هذه الليلة ؟

شهيدة — ومما ، أو ممن أخاف ؟

الياس — من اللصوص . وما ادراك اني انا لست لصاً ؟

شهيدة — وماذا يطلب اللص هنا ؟ اما انت فلو كنت لصاً لما طرقت الباب قبل ان تخلف . ومع ذلك فانا لم أسمع بلص خرج من بيته بطرس سماحه .

الياس — (بدهشة) وما ادراكِ اني من بيت سماحه ؟ هل رأيتني قبل هذه المرة ؟

شهيدة — هذه اول مرة اراك فيها . لكني للحال عرفتك وعرفت اسمك . اسمك الياس بطرس سماحه .

الياس — (بدهشة اشد من الاولى) هل انتِ ساحرة أم نبية ؟ لنفرض انك سمعت اسمي من داود . لكن من اين عرفت اني انا هو الياس سماحه بعينه

شهيدة — (ضاحكة بلطف) لست ساحرة ولا نبية . أيصعب عليك ان تعرف كيف اهتديت اليك ولم أرك من قبل ؟ الامر بسيط . داود كتب الي عنك مراراً ووصفك لي وصفاً مدققاً . حتى انه أرسل الي صورة الوثيقة التي كتبتها تمهداً على نفسك و كل من ذهب مذهبك . « بتاريخه نحن الواضعين اسماءنا ادناه قد تعهدنا ان نضع حداً لحياتنا بواسطة المشنقة قبل بزوغ شمس العاشر من شهر آب الخ . (ضاحكة بلطف) لما قرأت هذه

الوثيقة استلقيت على قفاي من الضحك . لا تؤاخذني — هل في ذاك ما يجرح احساساتك ؟ أخال ان كل من يقرأها لا يقدر ان يتمالك نفسه من الضحك . ألم تضحك انت لما كتبتها ؟

الياس (بخجل) وماذا يضحكك فيها ؟

شهيدة (باسمة) ربي ! ماذا يضحكني فيها ؟ تضحكني كلها من أولها الى آخرها . يضحكني ان شاباً مثلك عاش مقدار ما عشت انت ، ولم يدرك حتى الآن جمال الحياة . انا اغبط نفسي لوجودي في هذا العالم واشكر خالقي على ذلك من أعماق قلبي . انا أعشق الحياة بمقدار اني لا اجد وقتاً لافكر مثلك في هل شرها اكثر من خيرها أو بالعكس . أمراض الجسد وآلام النفس وأوجاع القلب تمر في حياتي كسحابة صيف ، فلا تعمي بصري عن جمال الكون . الحياة جميلة بعيوني . ومن لا يرى هذا الجمال يجب ان يبحث عن السبب في نفسه . ما ضر الشمس لو شتمها الاعمى ؟

الياس — آه لو ادري ما هذا الجمال الذين تتكلمون عنه كلكم ايها المتعلقون باذيال هذه الدنيا ! جمال الحياة ، لذة البقاء ، غبطة الوجود — هذه كلها كلمات جميلة رنانة ، لكنها فارغة خداعة .

شهيدة — حبذا لو كنت فيلسوفة لاحدثك بلغة الفلاسفة . كيف اقدر ان افسر لك ما لا يتفسر ، تقريباً ؟ انا اعرف اني احب الحياة ، انا لا اقدر ان اشرح لك سر هذا الحب . خذ لك مثلاً — انا اعلم البنات الشغل اليدوي في مدرسة ابتدائية . كنت مرة اشرح لهن طرزاً جديداً من الكروشه شغله

صعب جداً . صرفت نحو ساعتين دون جدوى . تعب لساني من الكلام وتحير قلبي من كثرة الشرح والبنات كأنهن لم يفهمن شيئاً من كل ما قلت . أخيراً قطعت كل أمل وطرحت السنارة من يدي ووبخت البنات توبيخاً لم يسمعن مثله مني كل مدة وجودي في المدرسة . دعوتهن « تيوس حمير . روءوس متلانه نخاله . خرجهن مش المدارس رعاية البقر » وغير ذلك من هذا النوع . واعترف لك اني في تلك الدقيقة كرهت المدرسة والتعليم . لما فتحت المدرسة في اليوم التالي وجاء وقت الشغل اليدوي اقتربت مني احدى البنات وأخرجت من جيبها بقجة صغيرة أعطتني اياها بيد مرتجفة قائلة — « معلمتي . شوفي في هاالخرج » . وماذا تظنني وجدت في تلك البقجة ؟ وجدت خرجاً طوله ذراعين من الطرز الذي شرحته للبنات في اليوم السابق . بياضه ولا بياض الثلج . واتقانه بالاجمال يفوق كل ما رأته عيني من ذلك النوع قبل ذلك اليوم وبعده . أتصدقني لو قلت لك اني سكرت بفرحي كل ذلك النهار . ولو سألتني عن سر فرحي لما قدرت ان ابينه لك . ربما كان ذلك لفرح الابنة التي نظرت اليها في تلك الدقيقة فوجدت السعادة تضحك في عينيها وفي كل خط من خطوط وجهها . أو ربما كان فرحي لادراكي اني كنت سبب فرح تلك الابنة . هذا مثال صغير فسره كما شئت . اما انا فلا اقدر أن افسره . انما اعلم ان فرحي في هذه الدنيا أن أسبب فرحاً لسواي . وعندي أن هذا هو سر السعادة

الياس — هنيئاً لك ولاخيك . اذا كانت السعادة ، كما تقولين ، في ان

بسبب المرء فرحاً لسواه ، فانا بعيد عن السعادة بعد الجحيم عن الجنة . انا لا اقدر ان اسبب فرحاً لاحد ، ولا اظن ان وجودي في هذا الكون او سعادتي تهم احداً على الاطلاق .

شهيدة — وما ادراك ان فتاة في هذه الدقيقة تسعد برفقتك ؟

— الياس فتاة ؟ أتعنين الزيجة ؟ اذا كان في العالم فتاة تبحث عن التعاسة بكل وجوهها — فهذه ربما قبلت بي زوجاً .

شهيدة — هذه اختك . داود اخبرني ان أمك تريد ان تزوجها رجلاً لا يميل قلبها اليه ولا يستحق ان ينظف حذاءها . فلماذا لا تعمل لخلاصها ؟

الياس — اختي هي الشخص الوحيد في هذا العالم الذي تهمني سعادته وراحته . وقد جئت هذه الليلة لاتكلم مع داود بشأنها

شهيدة — حديثنا كاد ينسيني داود . ترى ماذا حل به ؟ وهذه العاصفة لم تسكن بعد . (سكوت)

(يفتح الباب . فتهب شهيدة بسرعة نحوه هاتفة — « اذكر الذيب وهيّ القضيب » لكنها ترجع للحال الى الوراء مذعورة اذ ترى داود عاري الرأس شعره مبعثر فوق جبينه ومغطى بالثلج . يسيل الدم من صدغه الايسر وقد جمد بعضه على اذنه وخده وذقنه . في يده اليمنى منديل ملطخ بالدم وقد ضمه الى عينه اليمنى)

شهيدة — (تطرح نفسها عليه مذعورة) داود ... داود ... ويلي . ويلي ... (تبكي معانقة اخاها) « البقية تأتي »